شَجَرَةُ

الأَنبِيَاءِ

- ٩ -

لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

دعوة الطهر والعفاف

منصور الرفاعى عبيد   د/ إسماعيل عبد الفتاح   رزق السيد هيبة

رسم صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت : ٢٧٥٢٩٨٤، ٢٧٥٢٩٨٤، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٢٢٩,٥ منصور الرفاعى عبيد.
م ن ل و لوط عليه السلام: دعوة الطهر والعفاف/ منصور الرفاعى عبيد، إسماعيل عبد الفتاح، رزق السيد هيبة؛ رسم صفوت قاسم.- القاهرة: دار الفكر العربى ١٩٩٨.
٢٤ ص : إيض؛ ٢٤ سم. - ([سلسلة] شجرة الأنبياء؛٩)
تدمك : ٢ ـ ١١٣٣ ـ ١٠ ـ ٩٧٧.
١ ـ قصص الأنبياء. أ ـ إسماعيل عبد الفتاح، مؤلف مشارك. ب- رزق السيد هيبة، مؤلف مشارك. جـ- صفوت قاسم، رسام. د- العنوان. هـ- السلسلة.

صف كمبيوتر عادل أحمد العزب

رقم الإيداع	٨١٨٨ / ٩٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإنسَانُ جَسدٌ ورُوحٌ . .

والرُّوحُ بلاَ جسد لاَ نَستطِيعُ التَّعرُّفَ عَليهَا، لأَنَّ الرُّوحَ منْ أَمرِ اللهِ عزَّ وجَلَّ. والجَسدُ بدُون رُوح جُثَّةٌ هَامدَةٌ، لا حَياةَ فيهَا ولا مَعْنَى لَهَا.

والإنسَانُ كَذلكَ بدُون طَهارة وبدُون عفَّة يعَيشُ حَياةً حَيوانيَّةً، لَيسَ فيهَا فَضيلَةُ الإنسَان، ولاَ كرَامتُهُ الَّتي كَرَّمَهُ اللّهُ بهَا، وإذَا استَمَرَّ الإنسَانُ بلاَ طَهارة عَاشَ ممزَّق النَّفس، ضَعيفَ الرُّوحِ مُهلهَلَ الكيَان. والطَّهَارة عُنوَانُ الإنسَانِ الفَاضلِ، والعفَّةُ هِيَ الطَّرِيقُ إلَى سعَادَة النَّفْسِ وسَلاَمَةِ الجسَدِ.

ولَيسَ المقْصُودُ بالطَّهارة طَهارَةُ الجسَدِ فقَطْ بالغُسْلِ والوُضُوءِ، وطُرق النَّظافَة المعرُوفَة، ولكنَّ الطَّهارَةَ الحقيقيَّةَ هِيَ طَهارَةُ الرُّوحِ والنَّفسِ والقَلْبِ الَّتي تكُونُ سَبيلاً إلَى كُلِّ مَا يَحملُ مَعنَى الطَّهارَةِ.

وقصتُنَا هَذه هِيَ قصةُ الطَّهارَةِ الكَاملَة التي كَانَ يدْعُو إليهَا لُوطٌ عليه السَّلاَمُ.

لَقدْ بعَثَ اللهُ لوُطًا ليحَاربَ الانحرَافَ والشُّذوذَ، ويدْعُو إلَى الحيَاة علَى مُقتضَى الفطْرة، فكانَتْ دعْوتُهُ خَالصَةً إلَى العفَّة والطَّهارَة.

ولقد نذر حياته من أجل هذه الدعـوة، فكان من الناجين، وكان قومه العاصون لرسالته هم الهالكون.

نسب لوط عليه السلام

هو لُوطُ بنُ هَارانَ، ابنُ أخي إبرَاهيمَ عَلَيْه السَّلاَمُ، وهوَ الوَحيدُ الَّذي آمنَ برسَالة إبرَاهيمَ عقبَ نجاته منَ النَّارِ وخروجه منهَا سَليمًا مُعافًى.

آمنَ بإبراهيم عَليه السَّلاَمُ، واهْتدَى بهدْيه، وهَاجرَ مَعَهُ إلَى الشَّامِ، ثُمَّ تَبعَهُ فى هجْرته إلَى مصرَ، وعَادَ معَهُ إلَى الشَّامِ مرَّةً ثَانيةً، وأغدَقَ عَليه مَلكُ مِصْرَ، فكَثُرت أَموالُهُ ومَواشيه، ومَنَّ اللهُ عليْه بالكَثير منَ الخيْرات.

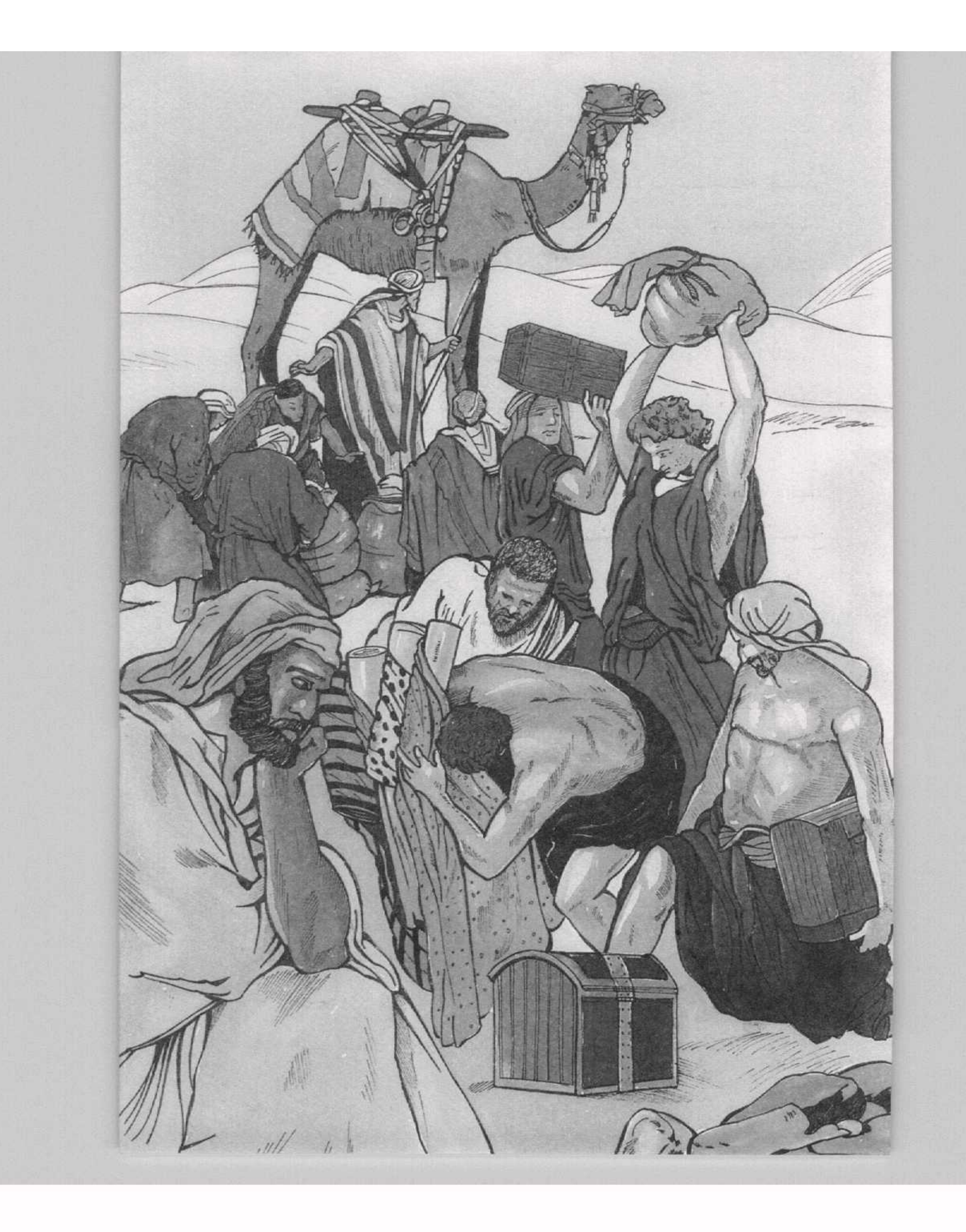
وَافترقَ عَنْ إبرَاهيمَ عَليه السَّلامُ، ليواصِلَ دَعوتَهُ فى منطقَة سَدُومَ بَعد أن بَعثَه اللهُ نبيًّا ورَسُولاً.

لَقدْ أرسَلَ اللهُ لُوطًا بالرِّسالَة، يَدْعُو إلَى التَّوحيـد، ويَأمُرُ قومَهُ بعبَادة اللهِ وحَـدهُ لاَ شريكَ له، وكَـانَ مَبـعُوثاً إلَى أهْلِ سَـدُومَ، بالأردُنِّ حَاليًـا، وكَانُوا أَهلَ كُفرٍ بالله، ويَرتكبُونَ المعَاصىَ، ويَأتُونَ الفَاحشَةَ ويقْطعُونَ الطُّرقَ عَلَى المسَافرينَ الَّذين يَمُـرُّونَ بهمْ، ثمَّ يفعَلونَ بهمُ الفَاحشةَ والعَـملَ الخبيثَ المنكرَ، يَأتُونَ الفَواحشَ عَلانيةً، ولاَ يبَـالُونَ بأَىِّ شَىْءٍ يَعيبُهمْ، فكَانُوا بذلكَ ذَوى فكْرٍ خَاطئٍ، وعقيدَة فَاسدَة، وأخْلاَقٍ رَديئَة، إذْ كَانُوا لاَ يَستَحْيُونَ منْ منكَرٍ فعَلُوهُ، ولاَ يتعَـففُونَ عَن مَعصيَة يَأتُونَـهـا عَلَى رءُوسِ الأَشْهَادِ، وأمَامَ أعيُنِ الخلاَئقِ، لاَ يَستَنْكفُونَ عَنْ خُلقٍ رَدىء، ولاَ يَستَترُونَ.

خَبائثُ سَدُومَ

كَانَ أهلُ سَدُومَ يتربَّصونَ بكلِّ مَنْ يدْخلُ مَنطقَتَهمْ منَ التُّجَّار، فَيلتفُّونَ حولَهُ، ويَجتمعُونَ إليْه منْ كلِّ ناحـية، ويمدُّونَ أيديَهُمْ إلَى بضاعَته، ويَأخُذُ كُلُّ واحد منْهمْ شيْـئًا منْ هَذه البضَاعةِ حَـتَّى تَنفدَ، وتَتوزَّعَ عَليْهم جَمـيعًا، وينصرفُونَ بغنيمتَهمْ دُونَ أنْ يدفَعُوا لهَا ثمنًا، ويَجلسُ التَّاجرُ حزينًا لاَ يدْرى مَاذَا يـفعَلُ، ويَجـأَرَ بالصُّراخِ والشَّكوَى، فَـيأتيـه الوَاحدُ منهُمْ، ويردُّ إلـيه الشَّىْءَ الَّذى أخذَهُ منْه، ويَربتُ عَلَى كَتفيْه ويُواسيه، ويقُولُ لَهُ:

هَلْ تَفعَلُ كُلَّ ذلكَ ياصديقى منْ أَجلِ ذَلكَ الشَّىْءِ القَليل الَّذى أخذتُهُ منكَ، خُذْهُ يَا أخى، هَأنَذَا أعيدهُ إليْكَ فَلاَ تكُنْ منَ المحزُونينَ.



ويقدِّمُ لَه مَـا أخَذَهُ منْهُ، وَهوَ شَيْءٌ يَـسيرٌ جـداً منْ بضَاعَـته، فـيفكّرُ التَّاجرُ فِى شَهامَةِ هَذَا الرَّجُلِ، ويفكّـرُ فِى هَذا الشَّيْءِ اليَسيرِ الذى عَادَ إلَيْه، مُؤكدًا لنفسه أنَّ هذا الشَّيْءَ لنْ ينفعَهُ لأنهُ لا قِيـمَةَ لَهُ بجَوارِ بضَاعَته الكثيرَةِ الَّتى سُرِقتْ منْه، فيقُولُ للرَّجُلِ:

وَماذَا عَسَى أن ينفعَنى ذَلِكَ بعْدَ أنْ فقَدْتُ بِضَاعَتِى كُلَّها؟ شُكْرًا لَكَ.

وَيأمُرُ التَّاجِرُ الرَّجُلَ بِالانصِرَافِ، شَاكِرًا فِعْلَهُ، وَيُهدِى إليْهِ ذَلِكَ الشَّيْءَ اليَسِيرَ.

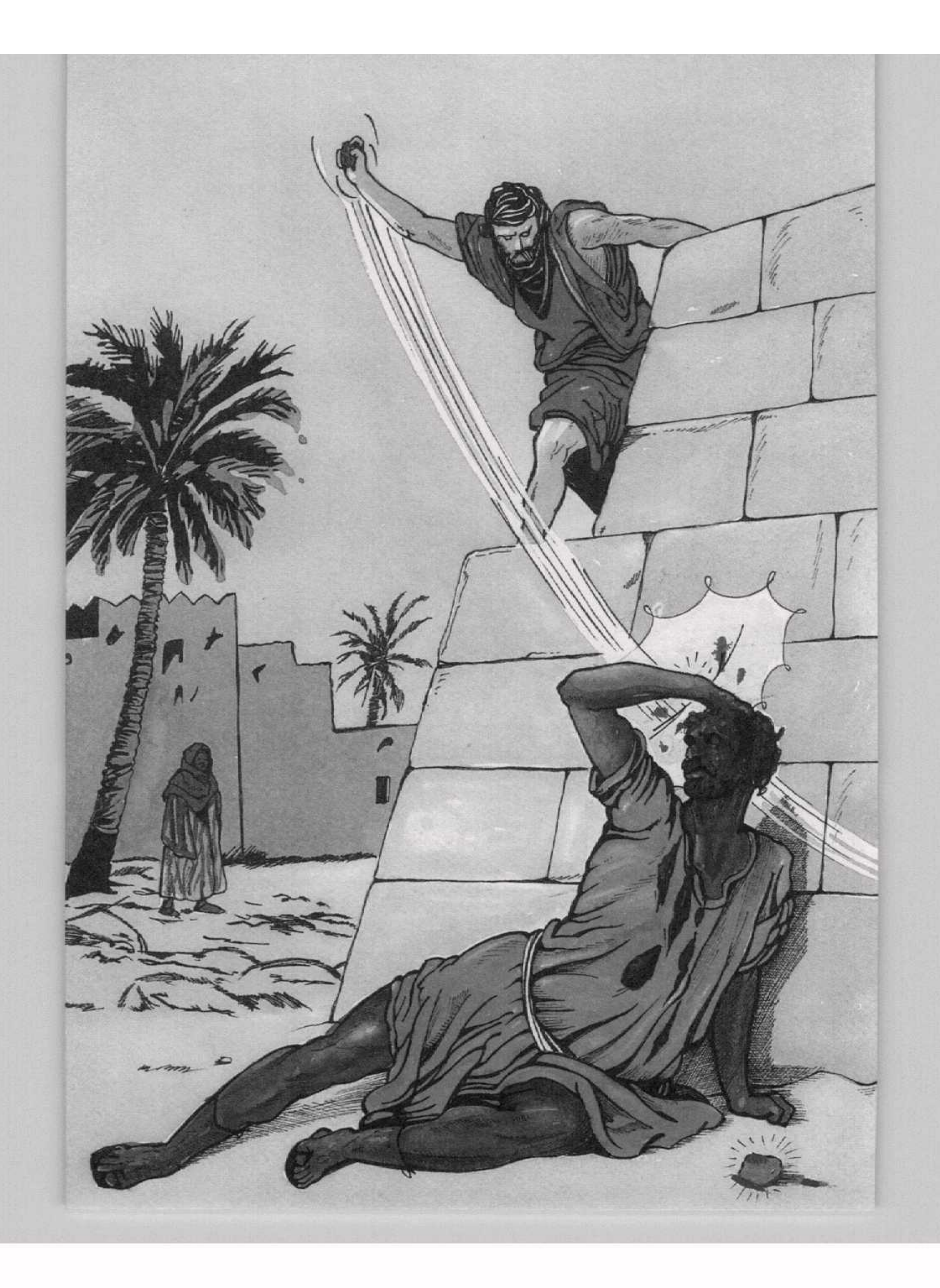
ثُمَّ يأتِى رَجلٌ آخَرُ مِـنْ أهلِ سَدُومَ، بالفكْرَة نفسِـها، والحِـيلَةِ ذَاتِها، حَتَّى يتسَامَحَ التَّاجِرُ مَعهُ، ثمَّ يأتِى الرِّجالُ بَعضُهُمْ وَرَاءَ بعْضٍ، حَتَّى يتسامَحَ الرَّجُلُ فِى بِضَاعَتِه كُلِّهَا بِسَببِ تَفاهَةِ الأَجْزاءِ التى سَتُرَدُّ إليْهِ جُزْءًا بَعدَ جزْءٍ، وبهذَا يَخـسَرُ التَّاجِرُ بضَـاعَتَهُ كُلَّهـا، وَتَذهَبُ رِحلَتُهُ مِنْ أجْلِ التِّجَـارَةِ هَبَاءً مَنْثورًا.

فَهلْ هُناكَ مَا هُوَ أَخبَثُ مِنْ تِلكَ الحِيلَةِ لأكلِ أموَالِ النَّاسِ بالبَاطِل؟.

ويُحْكَى أنَّ سَارَةَ زوجَـةَ إبرَاهيمَ عليه السَّـلامُ، أرسلَتْ «لَعاذَرَ» كبـيرَ عَبـيدِ إبرَاهيمَ ليـبلِّغَ لُوطاً رِسَالَةً، فَلمَّـا دَخَلَ الرجلُ مَدينَةَ سَـدُومَ، شَاهدَهُ وَاحدٌ مِنْ أهْلِهَا، فـوجَدَهُ لاَ يحْمِلُ بضَاعَةً، وليسَ لدَيه تجَـارَةٌ، ففكَّرَ، ماذَا يفعَلُ مَعهُ؟

وَقصَدَ الرَّجُلُ السَّـدومىُّ إلَى حَجرٍ، قَذفَ به رَأْسَ العَبْدِ فـأسالَ دَمَهُ، وَالتفتَ العَبـدُ لينظُرَ مَنِ الَّذى قَذفَهُ بالحجَرِ، فـوجَدَ الرَّجلَ السَّدومِى، يَأتِى مُسرِعًا ويقُولُ لَهُ:

أَنَا الَّذِى قذَفتُكَ بالحجَرِ أيها الرَّجُلُ، وَأَسلْتُ دمَكَ.



فَقالَ له العَبْدُ: ولَماذَا تَفعَلُ ذَلكَ يَا أَخِي؟ هَلْ فعلَتُ أنَا مَا يُغضبُكَ؟

فَقَالَ لَهُ السَّدومِيُّ: لِكَي آخُذَ أجْرِي مِنْكَ عَلَى عَمَلِي هَذَا.. إسَالَة دَمِكَ.

فَغَضبَ العَبْدُ «لَعاذرُ» وقَالَ:

هَلِ القَذفُ بالحجَارةِ وإسالةُ دَماءِ النَّاسِ عَملٌ تَستَحقُّ عليه أجْرًا؟ إنَّ هَذَا لأمْرٌ عَجِيبٌ.

وتشَاجرَ العَبْدُ معَ الرَّجلِ السَّدومِيِّ، واجْتَمعَ النَّاسُ إليهِمَا، فقَالَ لَهمُ العَبْدُ:

كَيفَ يضربُنِي هَذَا الرَّجلُ ثُمَّ يطلُبُ مِنِّي أجْرًا عَلَى ضَربِه لِي، هَلْ هَذَا مَعقُولٌ؟

وأَخَذهُ «لَعاذَرُ» عَبدُ إبرَاهيمَ، وذَهَبَ بِه إلَى قَاضِي سَدُومَ، وكَانَ القَاضِي مِنْ أهلِ المنطقَة، وشَرحَ له العَبدُ ما حَدَثَ، واستَمعَ القَاضِي إلَى الرَّجلِ السَّدومِيِّ، ثُمَّ أصْدرَ حُكمَهُ، قَالَ:

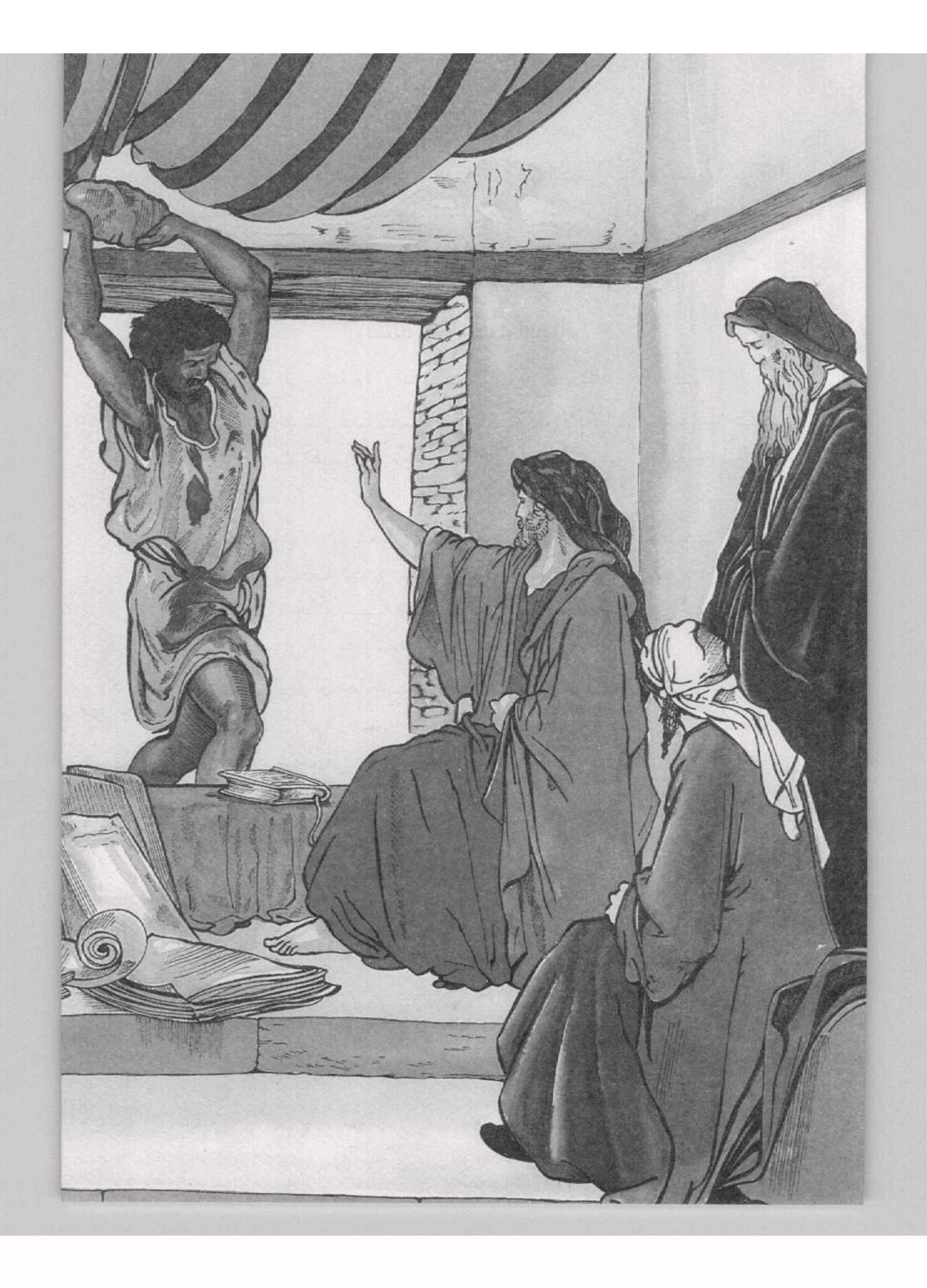
أحكُمُ عَلَى «لَعاذر» بِأنْ يُعطِيَ الرجُلَ السَّدومِيَّ أجرَ ضَرْبِه بالحجَرِ، وإسالة دمائه.

وتعجَّبَ «لَعاذَرُ» عَبدُ إبراهِيمَ مِنْ هَذَا الحكْمِ الجَائرِ، كَيفَ ينقلِبُ الحقُّ باطِلاً، ويَدفَعُ المجْنِيُّ عَليه أجرًا للجَانِي؟.

وبسُرعَة فكَّرَ العبْدُ أَنْ يدْفعَ للسَّدومِيِّ الأَجرَ العَادلَ، فأخذَ حَجرًا ضربَ بِه القَاضِيَ، فشجَّ رأسَهُ، وأسَالَ دَمهُ، وقالَ لَهُ:

الأَجْرُ الذِي وجَبَ لِي عِندَكَ بإسالةِ دَمِكَ، عَليكَ أَنْ تُعطيَهُ لِهَذَا الرجُلِ جزاءً لضربِي وإسالة دَمِي.

وخَرجَ العَبْدُ، سَعيدًا بالانتقَامِ مِنْ أهلِ سَدُومَ ومنكَرَاتِهِمْ.



ومنْ منكرات أهل سَدُوم أنَّ الرجَال كَانُوا يُمارسُونَ الجنسَ «اللِّواط» معَ بَعضهمُ البعْض دَاخلَ نَاديهم المسمَّى بنَادى المنْكر، فيأتُونَ الشَّهوةَ الجنسيَّةَ معَ الرجَال، وكَانُوا يتركُونَ الإنَاث، وبذلكَ قلَّ نَسلُهم شيئًا فشيئًا إلى أن انقطعَ، وهَذَا رحْمةٌ منَ الله بالعَالمينَ.

رسالة لوط عليه السلام

قَدمَ لوطٌ إلَى سَدوم، وأقَامَ فيهَا هُو وزوجتُهُ وبنَتاه.

وهُناكَ وجَدَ كُلَّ هَذه الصِّفات الخَبيثَة، والأفعال السَّيئَة تملأُ المنطقةَ كُلَّها، الَّتي كَانت تَضمُّ سَدُوم، وأربعَ قُرًى أُخْرَى، هي: صبعة،وصُعرَى، وعُمرَى، ودُومَا.

وتعَجبَ لُوطٌ مما يفعلُهُ القَومُ، كيفَ يأتي الرِّجَالُ بَعضُهُمْ بعضًا، وكيفَ يمارسُون ذَلكَ الشُّذوذَ، ويتركُونَ النِّسَاءَ اللَّاتي خَلقهُنَّ اللهُ، وجَعلَ مُعاشرَتَهُنَّ في الحَلَال سببًا منْ أسبَاب المتْعة والسَّعادة في الحيَاة وطريقًا للإنجاب واستمرار الذُّرِّية وتتابع الأجيال.

وعَرفَ لُوطٌ أنَّ أهْلَ سَدوم، أهلُ شَرٍّ وفسَاد في الأَرض، يقطعُونَ الطُّرقَ، ويأكلُونَ أموالَ النَّاسِ بالبَاطلِ، ولاَ يعرفُونَ الحَيَاءَ، ولاَ يَستقبحُونَ القبيحَ، ولا يرْغبُونَ في الحسَنِ، وابتدَعُوا كثيراً منَ المنكَرات التي لَمْ يفعلْهَا قبلَهُم أحدٌ منَ العَالمينَ.

فدعَاهُمْ لوطٌ إلَى عبَادة الله وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ، ونهَاهُمْ عَن فعْلِ المنكَرات، لأنَّ اللهَ حرمهَا عَلَى عبَاده، مثل قَطع الطَّريق، وارْتكَاب الفَواحش، وإتيَان الذكور في الأدبَار.

ونصَحَ لُوطٌ عليه السَّلامُ أهلَ سَدوم، بأنْ يتزوَّجُوا النِّساءَ، لتكتملَ سُنةُ الله في كَونه، وأنذرَهُمْ بأنَّ بأسَ الله شَديدٌ، وأنَّ عذَابَهُ أليمٌ، وحَذَّرهُمْ منْ عَاقبة مَعاصيهمْ، فكَانُوا يقُولُونَ له:

يَا لوطُ، ائتنَا بعذَابِ الله إنْ كُنتَ منَ الصَّادقينَ.

وَلَمْ ييأسْ لُوطٌ عليه السَّلامُ، وظَلَّ يدْعوهُمْ إلَى العفَّة والطَّهارَة، ولكنَّهم لاَ يزدادُونَ إلاَّ خُبْثًا وعنادًا، واستمرُّوا فِى غيِّهِم، ولَمْ يؤمِنْ بدعوته سوَى بنتيه فَقَطْ منَ البَلْدة كُلِّهَا.

وسَأَل لُوطٌ ربه عزَّ وجلَّ أنْ ينصرَهُ عليهِمْ، بعْدَ أنْ تمادَوْا فى الكُفرِ والمعَاصِى، فوعدَهُ اللهُ بالانتقامِ منْ أهْلِ المنطقة كُلِّهَا.

انتقامُ اللهِ الرّهيبُ

لَقدْ أثبتَ العلمُ والطِّبُّ أنَّ إتيانَ الذَّكر للذَّكرِ يتسبَّبُ عنْهُ الكثيرُ منَ الأمراضِ الخَبيثَة التى منها مَا يعرَفُ بالسَّيلاَن، وبالزُّهرى، ومنْهَا مَا اكْتشَفَهُ العلمُ حَديثًا وعرَفنَا أنَّهُ أخبثُ الأمراضِ جَميعًا، وهُوَ مَا يُعرَفُ بالإيدزِ، أوْ فقد المَناعَة فِى الجسمِ.

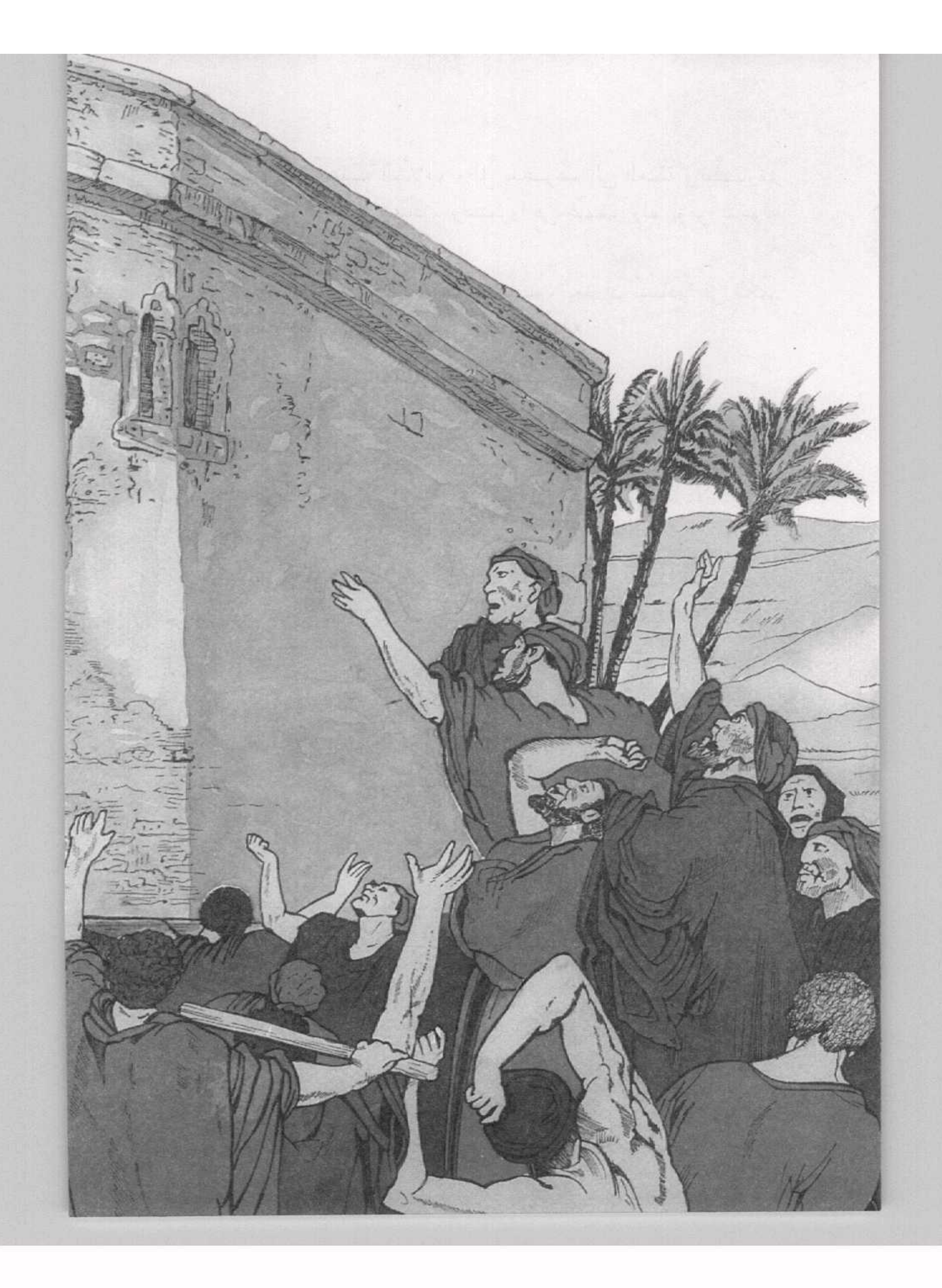
ثُمَّ إنَّ هذه الجريمةَ البشعةَ، والخطيئةَ المرذُولةَ، لاَ يقبَلُهَا إلاَّ صاحبُ النفسِ المريضَة المنحرفَة، لأنهُ يأتى لَذتَهُ فى مكَان خَبيث جَعلهُ اللهُ مخرَجًا للقذَارة منْ بطنِ الإنسَانِ، فضلاً عَلَى ما يُسبِّبُهُ منْ قَطعِ النَّسلِ وفناء الذُّرية.

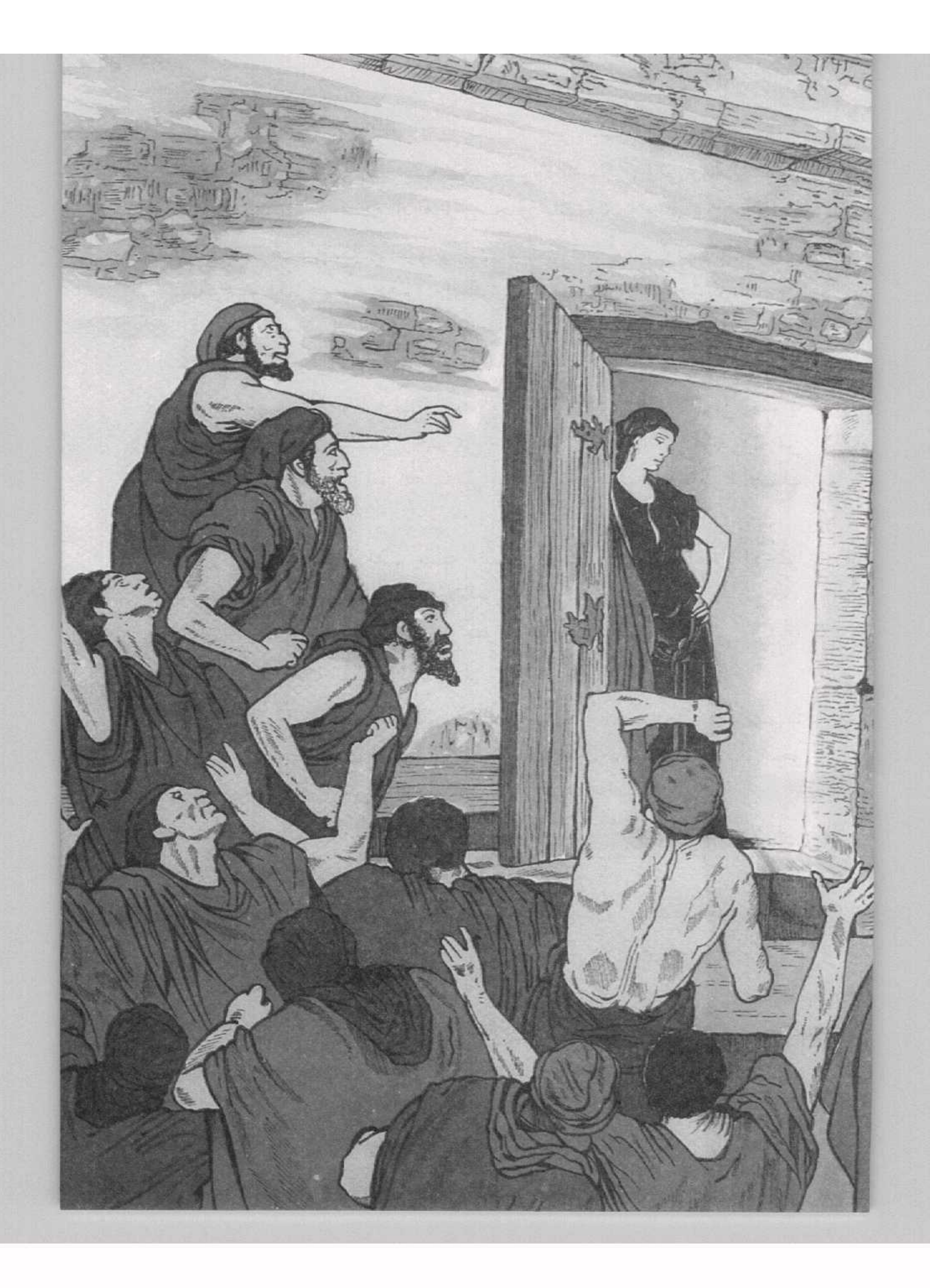
فكَانَ اللّواطُ (إتيانُ الذَّكرِ للذَّكرِ) فسَادًا للجسمِ وتدْميرًا لَهُ، وفسَادًا فِى الأرْضِ وتَخريبًا لعُمرانِهَا.

فبعثَ اللهُ هذَا النَّبىَّ الكريمَ لُوطًا عليه السَّلامُ ليعالجَ هذه الفعْلَة البَشعَةَ المستقبحَةَ، الَّتى تَنفرُ منهَا النُّفوسُ الطَّيبةُ، ولاَ يرضَى بفعْلِهَا صَاحبُ ذَوق أَو شعورٍ نبيلٍ.

واللهُ سبحانَهُ وتعَالَى يغضبُ عَلَى مَن يُحَلِّلُ حرامَهُ، ويحَرِّمُ مَا أحَلَّ اللهُ لعبَاده منَ الطَّيبات، لذلكَ كَانَ لاَ بدَّ أنْ ينتصرَ اللهُ لدينه ولرَسُوله لُوطٍ عليه السَّلامُ.

فبعثَ اللهُ ثلاثةً منَ الملائكَة، يُقالُ أنهُمْ جبريلُ وميكَائيلُ وإسرَافيلُ، عليهمُ السَّلامُ، فِى صُورةِ ثلاثة رجَالٍ شَبابٍ، نَزلُوا عَلَى إبراهيمَ عليه





السَّلامُ أوَّلاً، فدعَاهُمْ إلَى ضَيافته، وَبشَّروهُ بإسحاق ومنْ وراء إسْحاقَ يَعقوبُ، كَما مَرَّ فى قصتَّى إبرَاهيمَ وإسْحَاقَ عليهمَا السَّلامُ.

وَأخبرَت الملائكةُ إبرَاهيمَ بوجْهَتهم نَحوَ قَومِ لُوط، وَأنهمْ مَأمُورونَ بتدميرِهِم لكفرِهمْ وعنَادِهِمْ، وإصرَارهم عَلَى فعْلِ الفَواحِش، فحَاولَ إبرَاهيمُ عَليه السَّلامُ أنْ يثْنيهم عمَّا يُريدُونَ أنْ يفعَلُوا بقومِ لوط، مبرِّرًا طَلَبهُ منْهمْ أنَّ لُوطًا يعيشُ فى هَذه المنطقَة، فقَالُوا لَهُ:

لاَ تخَفْ عَلَى لُوط، فَإنهُ طَاهِرٌ واللهُ يُحبُّ المتَطهِّرينَ، نحْنُ نَعلَمُ يَا إبرَاهيمُ أنَّكَ رَقيقُ القَلْبِ، رَحيمٌ بمَنْ حولَكَ، وتَخشَى عَلَى لُوط لأنَّهُ من ذَوِى قُربَاكَ. ولكنْ هَذا أمرُ اللهِ بتدميرِ سَدُومَ ومَا حَولهَا، وأمَّا لُوطٌ فسوفَ يكُونُ منَ النَّاجينَ.

وتركت الملاَئكةُ إبرَاهيم عَليه السَّلامُ، وَمَضَوْا إلَى سَدومَ، ودَخَلُوا القَريةَ وهُمْ فى صُورة شَبَاب ثَلاَثة، فوجَدُوا لُوطًا يَعملُ فِى أرضٍ لَهُ، ووَجَدُوا إحْدَى ابْنتَيه تَستَقى الماءَ منْ نَهرٍ هُنَاكَ، فقَالُوا له:

نَحنُ ضيُوفُكَ اللَّيلةَ يَا لُوطُ.

وكَانَ لُوطٌ مثلَ إبرَاهيمَ عليهمَا السَّلامُ، يكرمُ الضِّيفَانَ، ويقدِّمُ لهُمْ مَا توجبُهُ الضِّيافَةُ وأَخلاَقُ الكُرمَاء، فرحَّب بهِمْ، وَأخذَهُمْ مَعَهُ وانطلَقَ نحوَ بَيته، وبينَمَا هُمْ فِى الطَّريق يَتحدثُونَ، قَالَ لُوطٌ عَليه السَّلاَمُ:

أمَا تَعلمُونَ ما يَعْمَلُ أهلُ هَذه البَلدَةِ؟ وَاللهِ مَا أعلَمُ على ظَهْرِ الأرضِ نَاسًا أشَدَّ منهُمْ خبثًا وإفسادًا فى الأرْضِ.

ولَمْ تَرُدَّ الملائكةُ عَلَى كَلام لُوط، وَبعدَ أن سَارُوا مَسافَةً أُخْرى، أعادَ لُوطٌ الكَلاَمَ نفسَهُ، وكَرَّرَهُ ثلاثَ مرَّاتٍ حَتَّى كَانتْ حُجَّةً عَليهِمْ، وشَهادةً منْ لُوط عَليه السَّلامُ بأنهُمْ أخبَثُ أهلِ الأرْضِ.

ووَصلَ لُوطٌ وَضيُوفُهُ إلَى البَيْت دُونَ أنْ يشْعُرَ بهِمْ أحَدٌ منْ سُكَّانِ سَدُومَ، وكَانتْ زَوجَةُ لُوط منْ أهلِ سَدُومَ، وتُشَجِّعُ مَا يَفعَلُونَ، فَضحكت

وأنذرتهم بأنَّ أهلَ سدومَ سيفعلُونَ بهمُ الفاحِشَةَ، ثُمَّ هُرِعَتْ إِلَى القومِ لتُخبرَهُم.. قَالتْ لَهُمْ:

إنَّ فِى بَيْت لُوط رجالاً، مَا رأيتُ مثلَهم قطُّ حُسنًا وجَمالَ وُجوه.

فَفرحَ أهلُ سَدُومَ، وأسرعُوا إِلَى بَيْت لُوط، وقَالُوا لَهُ:

يَا لُوطُ، سَلِّمنَا ضُيوفَكَ لنمَارِسَ مَعهُمْ مَا نمارِسُ مَعَ غيْرِهِمْ مِنَ الرِّجال.

سَألهمْ لُوطٌ: وكَيفَ يكُونُ ذلكَ وهُمْ ضُيوفى وفِى حِمَايَتِى حتَّى تَنتهِى ضِيافتهُم؟.

قَالُوا: أَلمْ نُحذِّركَ يَا لوطُ، مِنْ قَبْلُ، وننهَاكَ عَنْ ضِيافَةِ الرِّجَال؟

قَالَ لُوطٌ: يا قَوْمُ، اتَّقُوا اللهَ، أليسَ فِيكُم رَجُلٌ عاقِلٌ، اتَّقُوا اللهَ، ولا تُخزُونى أمامَ ضُيوفى.

وضَحكَ القَوْمُ سَاخرِينَ، فقَالَ لَهمْ لُوطٌ:

هؤلاَءِ بنَاتى، فتزوجُوهُنَّ، هُنَّ أطهَرُ لكُمْ مما تُرِيدُونَ.

فَازدادَتْ سُخريتهُمْ منْهُ، واستهزَاؤهُمْ به، وقَالُوا:

لَقدْ نهينَاكَ عَنْ ضِيَافَةِ الرِّجالِ فَلمْ تنتَهِ، وأنْتَ تَعلمُ أنَّه لَيسَ لَنَا حَاجَةٌ فِى النِّساء.

وظَلَّ لُوطٌ يجَادلُ القَومَ وهُمْ يجَادلُونَهُ، ويُحاولُونَ أنْ ينَالُوا من ضُيوفه رغمًا عَنْهُ، حتَّى سكبتْ عُيونُ لُوط دَمعَهَا، وهُو يشتكِى ويقُولُ:

لَوَ كَانَ لِى عُصبَةٌ منَ الرِّجَال، أَوْ عُزوَةٌ منَ الأهْلِ، لدافعْتُ عَنْ ضُيوفِى وقَاتلتُكُم قتَالاً شَديداً.

واشتدَّ الكَرْبُ بلُوط عَليه السَّلاَمُ، لأنَّ القَوْمَ أرادُوا أنْ يهجُمُوا عَلَى بيته، ويأخُذوا ضُيوفَهُ غَصبًا.

وأُصيبَ لُوطٌ بذُعر شَديد، وخَوف عظِيم، لَيسَ عَلَى نَفسه، ولكنْ عَلَى ضُيوفِهِ الَّذِينَ هُمْ فِى حِمَاهُ وفِى بَيْته، فطمأنَتْهُ الملائكةُ قَائلين لَهُ:

اطْمئنَّ يَا لُوطُ، إنهُمْ لَنْ يصلُوا إليْكَ، فَلا تكُنْ منَ الخَائفين.

قَالَ لَهم لُوطٌ: كَيفَ أَطمئنُّ وهم يُريدُونَ اقْتحَامَ المنزِل، ليأخُذُوكُم؟

قَالت الملائـكَةُ: نَحْنُ رُسلُ ربِّكَ، لَقدْ جـئْنَا لتنفيذِ حُـكْمِ الله فِي قوم سَدُوم.

فَهدأتْ نَفْسُ لوط عَليهِ السَّلامُ، وَاسـتراحَ قَلبُهُ المؤمنُ الوَاثقُ بنَصْرِ الله وَعدْله.

واندَفَعَ أَهْلُ سَدُومَ وتَسَابَقُوا، يريـدُونَ كَسرَ بَابِ المنزل، والدُّخولَ إلَى البيْت ليَـأخُذُوا هؤلاَء الشَّبـابَ الثَّلاثَة بالقُوَّة، ولكنَّ اللهَ أعْـمَى أبْصارَهُمْ، فكَانَتْ بدايَةُ العَذَاب.

أَعـمَى اللهُ أبصَارَهُمْ، وطَمَسَ عُـيونَـهُمْ، فَلمْ يروْا، ولَمْ يهْتَـدُوا إلَى مكَانٍ يَقتحـمُونَ منْه البيتَ، وظَلُّوا مُحـاصرينَ مَنزِلَ لُوط، فطَلَب لُوطٌ منَ الملائكَة أنْ يَنفِّـذُوا أمْرَ الله، وأَنْ يُهـلكُوا أَهْلَ سَدُومَ فَـوراً، وبلاَ إبطَاء... فقَالَ لهُ جبريلُ عَليه السَّلامُ:

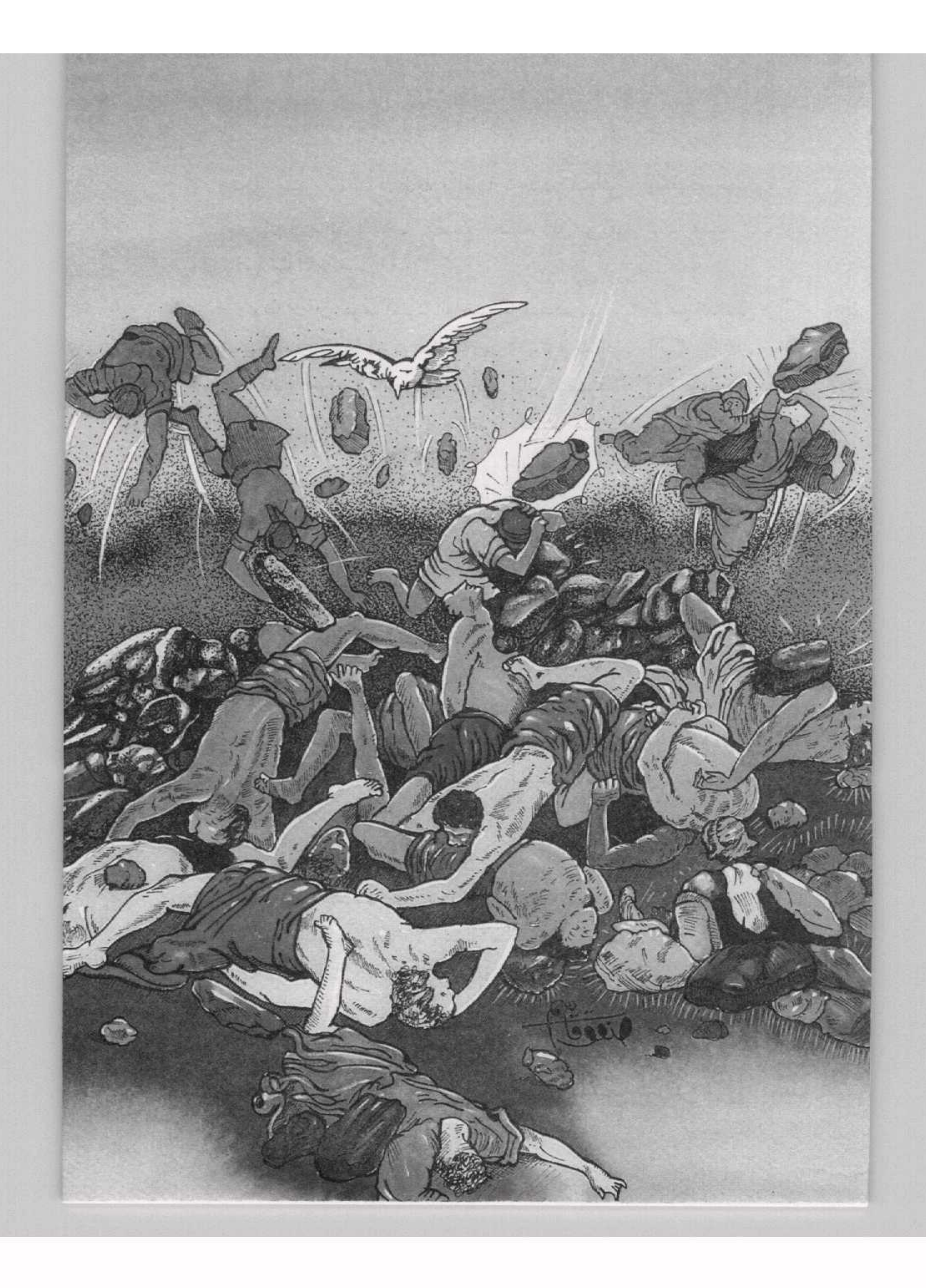
يَا لُوطُ، إنَّ موعدَهُمُ الصُّبحُ.. فَلا تكنْ مِنَ القَلقين.

وَأمرتْهُ الملائكَةُ أَنْ يَسيرَ بأَهْله (زوجَتـه وَابنتيْه) فِي اللَّيلِ، خَارجينَ منَ المنطقَة، ولاَ يلتفتْ منهم أَحَدٌ، لِيرَى مَا يحْدُثُ للقَرية.

وخرَجَ لُـوطٌ وأَهْلُهُ نَاجين منَ القَـرْية الَّتى كَتَبَ اللهُ علَـيهَا الـعَذَابَ، وكَانَ لَم يؤمن به سوى ابْنَتيْه، وحَلَّتْ سَاعَةُ الانتقَامِ الرَّهيب.

أَدخلَ جبْريلُ عَليه السَّلامُ جَنَاحَهُ تحتَ أَرض سَدُومَ، فقَلْقَلهَا، ورفَعهَا حَتَّى سَمعَ أهلُ السَّـماء وَأَهْلُ الأَرض صياحَ الدِّيكَة ونُبَـاحَ الكلاَب، فجعَلَ عَاليَهَـا سَافلَهَا، وأمطرَتْ عَليهِمُ السَّـمَاءُ حجَارةً منْ سجِّـيلٍ، فَأبادتِ القَوم كُلَّهم، ولَم ينْج منْهُم أَحدٌ قطُّ.

كُلُّ ذلكَ ليطهِّـرَ اللهُ المكَانَ الذى انْـتشـرَتْ فـيـه الأَوبئَة، والخَبـائثُ والفَواحِشُ والمنكَراتُ الَّتى أبَاحَها لأنفسهم أهْلُ سَدُوم.



وَهكذَا يَتبيَّنُ لَنَا أَنَّ النظَافةَ والطَّهارَةَ مَظهرٌ إيمَانيٌّ، وسُلوكٌ حضَاريٌّ.

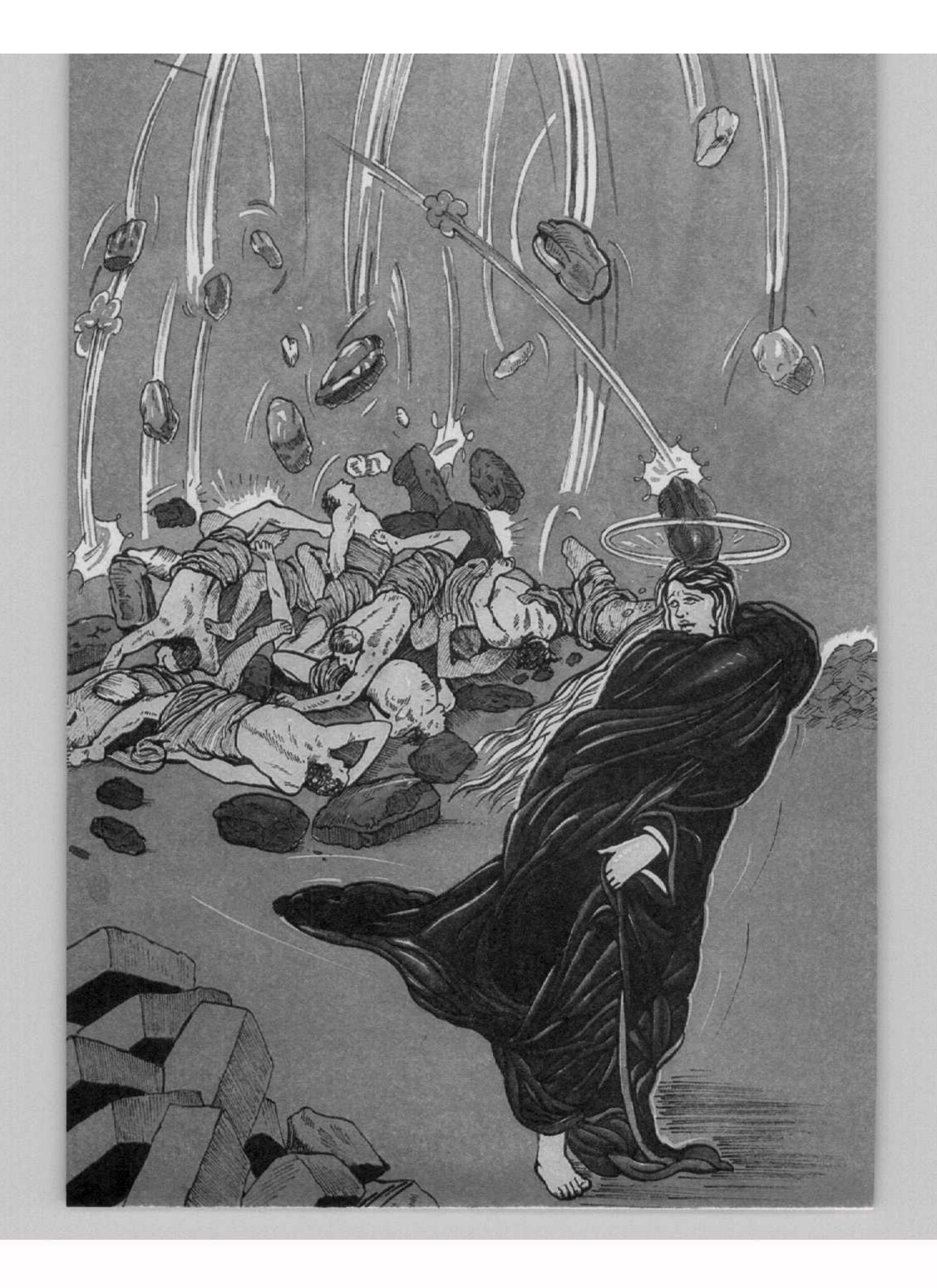
وَيحدِّثُنَا القُرآنُ الكَرِيمُ بقصَّةِ انتِقَامِ اللهِ مِنْ قَومِ لُوطٍ عَليهِ السَّلاَمُ، فيقولُ الحقُّ تبارَكَ وتَعالَى:

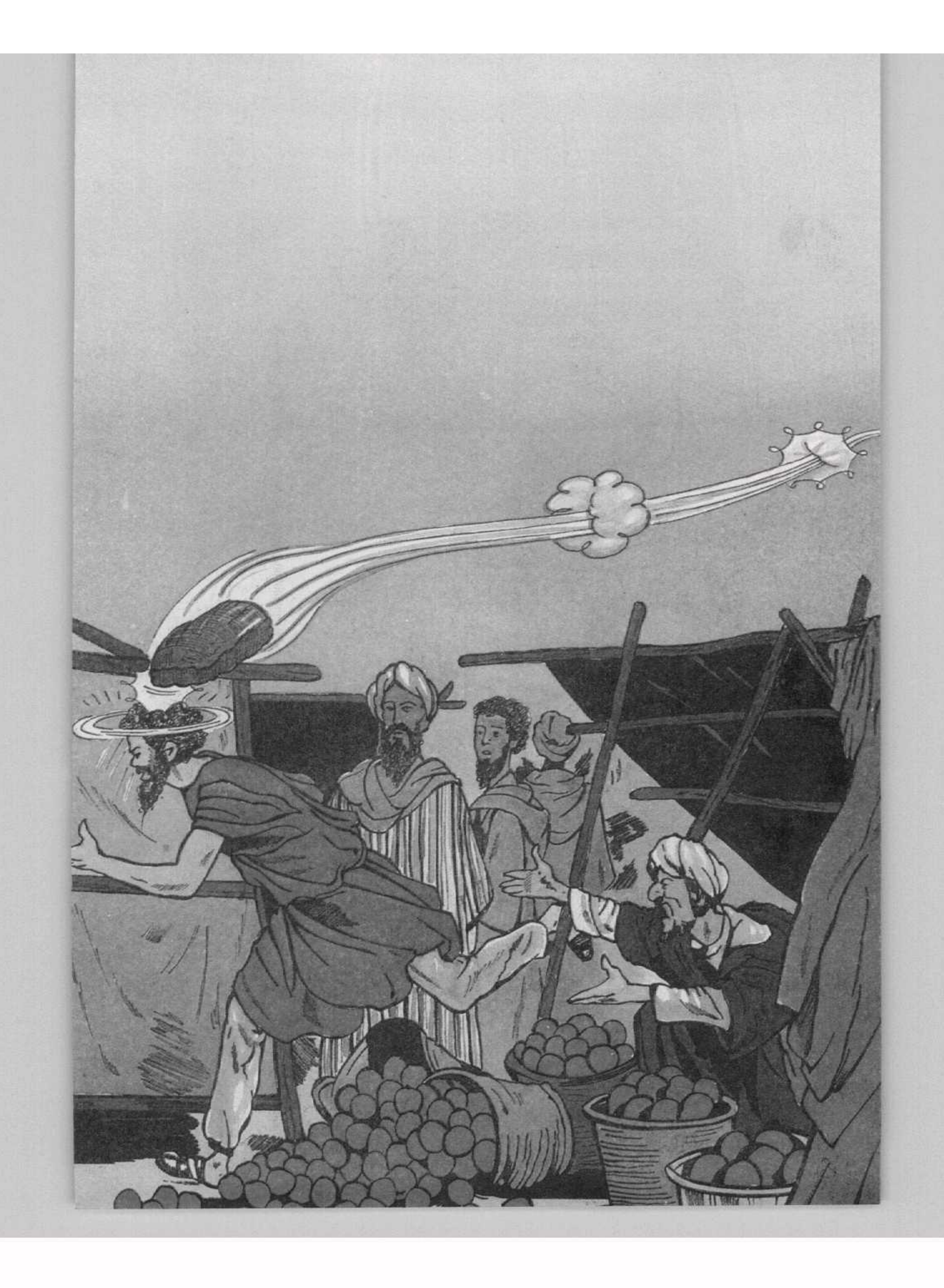
﴿ ولُوطًا إذْ قَالَ لقَوْمه أَتَأْتُون الْفَاحشَةَ ما سبَقكُم بها منْ أَحد مِّن الْعَالمين ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لتأْتُون الرِّجَالَ شهْوةً مِّن دُون النِّسَاء بلْ أَنتُم قوْمٌ مُّسْرِفُون ﴿٨١﴾ وما كان جواب قوْمه إلاَّ أن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قرْيتكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يتطهَّرُون ﴿٨٢﴾ فأَنجيْناهُ وأَهْلهُ إلاَّ امرأَتهُ كَانَتْ من الْغَابرين ﴿٨٣﴾ وأَمْطرْنا عليْهِم مَّطرًا فانظُرْ كيْف كَان عَاقبةُ الْمُجْرمين ﴾ [الأعراف].

كَما قَالَ اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ:

﴿ ولَمَّا جاءتْ رُسُلُنا لُوطًا سيءَ بهمْ وضَاق بهمْ ذَرْعًا وقَال هذا يوْمٌ عصيبٌ ﴿٧٧﴾ وجاءهُ قوْمُهُ يُهْرعُون إليْه ومن قبْلُ كانُوا يعْملُون السَّيِّئَات قَال يا قوْمِ هؤُلاء بناتي هُنَّ أَطْهرُ لكُمْ فاتَّقُوا اللَّه ولا تُخْزُون في ضيْفي أَليْس منكُمْ رجُلٌ رَّشيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لقَدْ علمْت ما لنَا في بنَاتك منْ حقٍّ وإِنَّك لتعْلمُ ما نُريدُ ﴿٧٩﴾ قَال لوْ أَنَّ لي بكُمْ قُوَّةً أَوْ آوي إلَىٰ رُكْنٍ شديدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يا لُوطُ إنَّا رُسُلُ ربِّك لن يصلُوا إليْك فأَسْر بأَهْلك بقطْعٍ مِّن اللَّيْل ولا يلْتفتْ منكُمْ أَحدٌ إلاَّ امرأَتك إنَّهُ مُصيبُها ما أَصابهُمْ إنَّ موْعدهُمُ الصُّبْحُ أَليْس الصُّبْحُ بقريبٍ ﴿٨١﴾ فلمَّا جاء أَمْرُنا جعلْنا عاليها سافلها وأَمْطرْنا عليْها حجارةً مِّن سجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ [هود].

﴿ فلمَّا جاء آل لُوطٍ الْمُرْسلُون ﴿٦١﴾ قَال إنَّكُمْ قوْمٌ مُّنكرُون ﴿٦٢﴾ قَالُوا بلْ جئْناك بما كانُوا فيه يمْترُون ﴿٦٣﴾ وأَتيْناك بالْحقِّ وإنَّا لصادقُون ﴿٦٤﴾ فأَسْر بأَهْلك بقطْعٍ مِّن اللَّيْل واتَّبعْ أَدْبارهُمْ ولا يلْتفتْ منكُمْ أَحدٌ وامْضُوا حيْثُ تُؤْمرُون ﴿٦٥﴾ وقضيْنا إليْه ذلك الأَمْر أَنَّ دابر هؤُلاء مقْطُوعٌ مُّصْبحين ﴿٦٦﴾ وجاء أَهْلُ الْمدينة يسْتبْشرُون ﴿٦٧﴾ قَال إنَّ هؤُلاء ضيْفي فلا تفْضحُون ﴿٦٨﴾ واتَّقُوا اللَّه ولا تُخْزُون ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَولمْ ننْهك عن الْعالمين ﴿٧٠﴾ قَال هؤُلاء بناتي إن كُنتُمْ فاعلين ﴿٧١﴾ لعمْرُك إنَّهُمْ لفي سكْرتهمْ يعْمهُون ﴿٧٢﴾ فأَخذتْهُمُ الصَّيْحةُ مُشْرقين ﴿٧٣﴾ فجعلْنا





عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴿٧٤﴾ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ [الحجر].

قصص من انتقام الله من قوم لوط

يُروى أنَّ قومَ لُوط كانُوا يعيشُونَ فى مَدينة سَدُوم، التى كانَت تضمُّ أربعَ قرى أخرَى، ويعيشُ فيهَا نحوٌ من أربعة آلاف ألف إنسان، (أى أربعة ملايين نسمة).

ويروى أنَّ زوجةَ لُوط هى التى أخبرت القومَ بقُدوم ضيُوف إلَى زوجها لُوط، وقد كانت كافرةً مثل أهل سَدُوم، وكانت قد خرجت مع لوط وبنتيه، فلمَّا سمعتْ صوتَ زلزلة الأرض ورجفتَها التفتت لترى ما يحدثُ فأصابها حجرٌ منَ الحجارة التى أُلقيتْ علَى المنطقَة، فقتلَها علَى الفور جزاء خيانتها لزوجها النَّبيِّ الصَّالح لُوط عليه السَّلامُ. ولَم يلتفتْ أحدٌ وراءهُ سواهَا، أمَّا لوطُ وابنتاهُ فقدْ سارُوا فى طريقهم لا يلتفتُونَ.

يقولُ اللهُ تعالَى فى ذلكَ:

﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾[التحريم].

وقالَ جلَّ شأنُهُ:

﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ﴿٥٤﴾ أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون ﴿٥٥﴾ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴿٥٦﴾ فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين ﴿٥٧﴾ وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ﴾ [النمل].

ويُروى أيضًا أنَّ مَنْ لَمْ يمُتْ عندَمَا أَسقطَ جبريلُ أرضَ سَدومَ بعْدَ أَنْ رفعهَا وقلبَهَا وجعَلَ عَاليَهَا سافِلَهَا أَمطَرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَليْه حِجَارةً، فكَانتِ الحجَارةُ تَتبعُ الرَّجُلَ أو المرأَةَ السَّدوميَّةَ فِى أى مكَانٍ.

ويُروَى عَنْ ذَلِكَ أنَّ بعْضَ رِجَالِ سَدُومَ كَانُوا فِى تجَارَة، وكَانُوا يَتحدَّثُونَ مَعَ الناسِ فِى قُرَى أُخرَى، فكَانَتِ الحجَارة تأتِيهِم فتقتُلُهُمْ، دُونَ الآخرِينَ الَّذِينَ يَتحدَّثُونَ مَعهُمْ.

ولَقَدْ أَرادَ اللهُ أَنْ يُهلكَ أَهلَ سَدُومَ جَميعًا.. حتَّى لاَ تَنتَشِرَ الأَوبئَةُ منهُمْ إِلَى غيرهِمْ حِفَاظًا عَلَى سُكَّانِ الأَرضِ، وتَأكيدًا لرحْمةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ بالبشَرِيَّة.

كَمَا يُحكَى أنَّ بحرَ لُوط المعرُوفَ الآنَ بالبحْرِ الميِّت، لَمْ يكُنْ مَوجُودًا قَبلَ انتِقَامِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ مِنْ أَهلِ سَدُومَ، وإنَمَا حَدَثَ بسَبَبِ الزّلزَالِ الَّذى جعَلَ عَالِىَ البِلَادِ سَافِلَهَا، وصَارَتْ المنطقَة منخفضةً عَنْ سَطحِ البَحْرِ، بنحْو أربعمائة مترٍ، ولَقد اكْتُشفَتْ أخيرًا آثارُ مُدن سَدُومَ عَلَى حَافَّةِ البَحرِ الميت.

فلنتأَمَّلْ قِصَّةَ لُوط مَعَ قَومِه، ونَأخُذْ منهَا العظَةَ والعبرَةَ عندَمَا نقرأُ قَولَ اللهِ تعَالَى:

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء]

وَهكَذا نَرى أنَّ لُوطًا علـيْه السَّـلامُ، قَـدْ عَاشَ يَـدْعُو إلَى الفَـضِـيلَة والطَّهارة وعفَّـة النَّفسِ والجسَد، ولكنَّ القوْمَ لَم يَسـتمعُوا إليْه، ولَم يَتَّبعُوا دَعوتَه، فَاسْـتهزءُوا به، وسَخرُوا منه، وطَلَبُـوا منْهُ أنْ يأتيهُم بعذَاب الله إنْ كَـانَ منَ الصَّـادقـينَ. فَـأحلَّ اللَّهُ عَليـهِمُ العَـذابَ والهَـلاكَ وكَـانُوا مِن الخاسرين.

إنَّ هذه القصَّـةَ تُحدثُنَا عَنْ نَبىٍّ كَرِيم، يُعطى الجَـارَ والضَّيْفَ حُقُـوقَهُ كَاملةً، فدفاعُهُ عَنْ ضُيوفه رَغمَ ضَعْـفه بينَ أهْلِ سَدُومَ الأقوِيَاء، مَهْمَا كَلَّفَهُ الأمرُ، ومَواجَهَتُهُ لَهم، يَعنى أنَّ لُوطًا دَعَا إلَى الفَضِيلة بكلِّ مَعانِيهَا، وجَاهَدَ فِى سَبيلهَا بكلِّ مَا يَستَطيعُ.

إن القيمَ الَّتِى دعَا إليْهَا لُوطٌ قِـيَمٌ صَالحَةٌ لكلِّ زَمان وَكُلِّ مكان.. ومنْ هَذه القيَمِ: المرُوءةُ والشَّجَـاعَةُ، والفَضِيلةُ والطَّهارةُ، وعِـفَّةُ النفسِ، وإكرَامُ الضَّـيفِ، وَحقُّ الجَـارِ، والتَّنزُّهُ عَنْ فِـعْلِ المنْكرِ، وعَـدَمُ الخُـروج بالغَـريزة الجنسيَّة عَنْ مُقتضاهَا الطَّبيعىِّ.

كَمَا تَدعُونَا قصَّةُ لُوط عَليه السَّلاَمُ إلَى الإيمَان الرَّاسِخ بالله عَزَّ وجَلَّ، واطمئنان القَلب، والهجرَةِ فى سَبيل الله مَتَى تَطَلَّبَ الأمرُ ذَلكَ.

إنَّ قصةَ نَبىِّ الله لُوط عبرٌ كُلُّهَا، وكلُّها تَدْعُو إلَى الخصَال الحميدَة، منَ الرحْمَة والمودَّة والمرُوءَة والشَّجَاعَة والفَضيـلة والعفَّة، وَهى خصَالٌ إذَا اتَّبعَهَا النَّاسُ وزَاوَلُوهَا فى حيَـاتهمْ لاَ تَكُونُ عَاقبـتُهم إلاَّ الفوْزَ والفَـلاحَ والنَّجاةَ، ورِضوَانَ الله رَبِّ العَالَمين.